الفصل السادس:

الإعجاز في الحيوانات

المبحث الأول:

تحريم القرآن لأكل لحم الخنزير

تحريم لحم الخنزير:

أورد النص القرآني تحريم لحم الخنزير في أربع مواضع:

1 ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 173].

2 ـ وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 3].

3 ـ وقوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145]

4 ـ وقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 115].

تفيد معاجم اللغة بأن الرجس يعني: القذر، والفعل القبيح والعمل المؤدي إلى العذاب، وفي تفسير البيضاوي: الرجس القذر وسمي بذلك لتعوّده أكل النجس، أو خبيث مخبث. يقول القرطبي[1]: لا خلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشَعِر فإنه يجوز الحرازة به. فقد روي أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الحرازة بشعر الخنزير فقال: «لا بأس بذلك».

وقال الفخر الرازي[2]: «أجمعت الأمة الإسلامية على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم، وإنما ذكر الله تعالى اللحم لأن معظم الانتفاع يتعلق به».

ويؤكد الإمام أبو الفرج الجوزي[3] هذا المعنى: «فأما لحم الخنزير، فالمراد جملته، وإنما خص اللحم لأنه معظم المقصود».

وقد ورد في صحيح مسلم عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لعب النردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه**». قال ابن كثير[4]: فإذا كان هذا التنفير لمجرد اللمس فكيف التهديد والوعيد من أكله والتغذي به، وفيه دلالة على شمول التحريم لجميع أجزائه من لحم وشحم وغيره. ويذكر ابن كثير أن الخنزير يشمل المستأنس منه والوحشي (البري).

ويرى د. عبد الحافظ حلمي محمد[5] أن لحم الخنزير ينفرد من بين جميع اللحوم المذكورة في آيات التحريم بأنه حرام لذاته، أي لعلة مستقرة فيه، أو وصف لاصق به، أما اللحوم الأخرى فهي محرمة لعلة عارضة عليها، فالشاة مثلًا إذا ذكيت فلحمها حلال طيب ولا تحرم إلا إذا كانت ميتة أو ذبحت لغير الله[6]. ونحن نؤكد أن المؤمن ملتزم حين يأتيه الأمر أو النهي من الله نجتهد في تفهم علة الأمر والنهي، لكن تحريم لحم الخنزير بالذات تحريم معلل (فإنه رجس) فاجتهادنا محصور إذن في محاولة لفهمنا لخبث ذلك المحرم ورجاسته حتى نزداد شكرًا لله على نعمائه.

ويعرض د. فاروق مساهل[7] للمشكلة التي تواجه أبناء المسلمين في ديار الغرب في تلوث الأواني بالخنزير النجس حين يقيمون مع أناس في منزل مشترك أو في المطاعم والأماكن العامة، وهؤلاء بطبيعة الحال يأكلون لحم الخنزير ويقلون

بشحمه. ويجد الكاتب الحل في هدي رسول الله ﷺ حينما سأله أبو ثعلبة الخشني: يا رسول الله إنا نجاور قومًا من أهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير ويشربون في آنيتهم الخمر فقال ﷺ: «**إن وجدتم غيرها فكلوا واشربوا، وإن لم تجدوا غيرها فارحضوها بالماء وكلوا واشربوا**» رواه أبو داود.

وحول أهمية تحريم لحم الخنزير شهادة للطبيب الألماني هانس ريكفينغ إذ يقول[8]: لا بد أن أشير إلى التراث القديم عند بعض الأمم حيث كان للتعاليم التي أرساها النبيان محمد وموسى أكبر الأثر في التزام المسلمين واليهود بقوانين الله الطبيعية.

ففي أفريقيا حيث يعيش المسلمون وغيرهم في ظروف مناخية واحدة، نجد بالمقارنة، أن الشعوب الإسلامية تتمتع بصحة جيدة لأن لحم الخنزير محرم في شريعتها، بينما نجد أن الشعوب الأخرى التي تعتمد النظام الغربي في تغذيتها تصاب بأمراض ترتبط كل الارتباط بتناولها لحم الخنزير.

ويتابع فيقول: في دراسة جرت في الهيمالايا حيث تعيش قبائل الهونزا التي اعتنق معظم أفرادها الإسلام ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير، وجد أنهم يتمتعون بصحة جيدة ومتوسط أعمارهم مرتفع ويعملون حتى سن متقدمة لتحصيل أرزاقهم، في حين أن القبائل التي تجاورهم من غير المسلمين تصاب بعدد من الأمراض الشائعة بينهم لتناولهم لحم الخنزير، ومتوسط أعمارهم وفعاليتهم أقل بكثير من القبائل المسلمة.

وهكذا فإني أرى أن الكتب السماوية التي جاء بها محمد وموسى كان معها الحق، كل الحق، في تحريم تناول لحم الخنزير».

ولكن ماذا نعرف عن الخنزير؟

الخنزير حيوان لاحم عشبي تجتمع فيه الصفات السبعية والبهيمية، فهو آكل كل شيء، وهو نهم كانس كنس الحقل والزريبة فيأكل القمامات والفضلات والنجاسات بشراهة ونهم، وهو مفترس يأكل الجرذ والفئران وغيرها كما يأكل

الجيف حتى جيف أقرانه. يقول الإمام الدميري[9]: إن الخنزير شرس الطباع شديد الجماع شبق تكتنف حياته الجنسية الفوضى ولا يخصص لنفسه أنثى معينة. ويروي د. هانس هايترش قصة طريفة جرت في أحد المشافي العسكرية حيث كانت هناك حظيرة للخنازير ملحقة بالمشفى وتعيش على النفايات والفضلات ويذبح أحدها كل شهر طعامًا للمرضى، والعاملين في المشفى. وفي أحد الأيام تدافعت الخنازير على الفرن المملوء بالضمادات المضمخة بالقيح والمهيأة للحرق فالتهمتها.

وتوفيرًا للعلف قررت إدارة المشفى من ثم أن يصبح نصف الضمادات المبللة بالقيح طعامًا للخنازير، وهكذا أصبحت دماء تلك الخنازير مفعمة بالسموم والنفايات. ولنتصور الآن مرضى هذا المشفى وأكثرهم مصابون بنواسير كعقابيل للكسور الناجمة عن الطلقات النارية، إنهم يغذون بلحم خنزير مشبع بالسموم، فبدلًا من الشفاء يولد عندهم هذا اللحم هجمة جديدة من الالتهاب والتقيح.

ومن هنا نفهم كيف أن معاني الرجس قد استقر في أذهاننا التصاقها جميعًا بالخنزير، فهو لا يكاد يرى إلا وأنفه في الرغام. وإن نفورنا وتقززنا من هذا الحيوان ليس قاصرًا علينا ـ نحن المسلمين ـ ففي كل من أوروبا وأمريكا، ورغم أن تجارة الخنازير عندهم وتربيتها رائجة، ويتخذون منه دمى لأطفالهم ومع ذلك فأسماؤه، على اختلاف لغاتهم، تعد سبة لا يقذفون بها إلا كل زري ذميم.

وتثبت الأبحاث أن الخنزير[9] يأكل الجيف والقاذورات وحتى فضلاته ولو ربيّ في أنظف الحظائر، كما تطالعنا الأنباء من حين لآخر عن افتراس الخنازير للأطفال الصغار، ففي مرة غفلت فيها إحدى الأمهات عن ابنها الصغير الذي تسلل إلى حظيرة الخنازير، والتي أسرعت بدورها لتمزيقه والتهامه دون أن تترك قطعة واحدة منه، وهذه النزعة لا توجد إلا في الحيوانات المفترسة.

الأضرار الصحية لتناول لحم الخنزير

الفرق بين لحم الخنزير وغيره من اللحوم: يحتوي لحم الخنزير على كمية كبيرة من الدهون ويمتاز باندحال الدهن ضمن الخلايا العضلية في اللحمة علاوة

على تواجدها خارج الخلايا في الأنسجة الضامة بكثافة عالية، في حين أن لحوم الأنعام تكون الدهون فيها مفصولة عن النسيج العضلي ولا تتوضع ضمن خلاياه وإنما تتوضع خارج الخلايا وفي الأنسجة الضامة[10].

وقد أثبتت الدراسات العلمية[11] أن الإنسان عندما يتناول دهون الحيوانات آكلة العشب فإن دهونها تستحلب في أمعائه وتمتص، وتتحول في جسمه إلى دهون إنسانية، أما عندما يأكل دهون الحيوانات آكلة اللحوم أو الخنزير فإن استحلابها عسير في أمعائه وإن جزيئات الغليسريدات الثلاثية لدهن الخنزير تمتص كما هي دون أن تحول وتترسب في أنسجة الإنسان كدهون حيوانية أو خنزيرية.

ومن المدهش حقًا ملاحظة د. هانس هايترش[8] أن الذين يأكلون شحم الخنزير من منطقة ما من جسمه فإنها تترسب في المنطقة ذاتها عند الأكل وهكذا وجد أن النساء اللواتي يأكلن فخذ لحم الخنزير يشاهد لديهن تشوه واضح في الفخذين والإليتين.

والكولسترول الناجم عن تحلل لحم الخنزير في البدن يظهر في الدم على شكل كولسترول جزئي كبير الذرة يؤدي بكثرة إلى ارتفاع الضغط الدموي وإلى تصلب الشرايين وهما من عوامل الخطورة التي تمهد لاحتشاء العضلة القلبية.

وقد وجد البروفسور Roff أن الكولسترول المتواجد في خلايا السرطان الجوالة يشابه الكولسترول المتشكل عند تناول لحم الخنزير.

ولحم الخنزير غني بالمركبات الحاوية على نسب عالية من الكبريت[10] وكلها تؤثر على قابلية امتصاص الأنسجة الضامة للماء كالإسفنج مكتسبة شكلًا كيسيًّا واسعًا، وهذا يؤدي إلى تراكم المواد المخاطية في الأوتار والأربطة والغضاريف ويجعلها رخوة مما يؤهب للإصابة بالتهاب المفاصل التنكسي وخاصة المفاصل بين الفقرات، وإلى تنكس في العظام.

والأنسجة الحاوية على الكبريت تتخرب بالتعفن والتخمر منتجة روائح كريهة فواحة لانطلاق غاز كبريت الهدروجين.

وقد لوحظ أن الآنية الحاوية على لحم الخنزير، على الرغم من أنها محكمة السد إلا أنه يتعين إخراجها من الغرفة بعد عدة أيام نظرًا للروائح الكريهة النتنة وغير المحتملة الناجمة عنها.

وبالمقارنة فإن لحومًا أخرى مختلفة خضعت لنفس التجربة، فإن لحم البقر كان أبطأ تعفنًا من لحم الخنزير ولم تنطلق منه تلك الروائح النتنة، ويحتوي لحم الخنزير على نسبة عالية من هرمون النمو والتي لها تأثير أكيد للتأهب للإصابة بخامة النهايات علاوة على تأثيره في زيادة نمو البطن (الكرش) وزيادة معدل النمو وخاصة نمو الأنسجة المهيأة للنمو والتطور السرطاني.

وحسب دراسات Roff فإن تلك الوجبة المسائية الدسمة الحاوية على لحم الخنزير تعتبر الأساس في التحول السرطاني للخلايا لاحتوائها على هرمون النمو علاوة على أثرها في رفع كولسترول الدم.

كما تؤكد أبحاث د.هانس هايترش[8] احتواء لحم الخنزير على كمية عالية من الهستامين تؤهب عند آكليها لحدوث الأمراض التحسسية الجلدية مثل الأكزيما والشرى والتهاب الجلد العصبي وغيرها بكثرة.

وقد وجد أن الشرى والحكة المعندة عند آكلي لحم الخنزير تتلاشى عند الامتناع عن أكله بشكل مطلق، بما في ذلك السجق المصنوع منه.

الأمراض التي ينقلها الخنزير

لقد حرمت الشريعة الإسلامية لحم الخنزير، ونفذها المتدينون امتثالًا لأمر الله الخالق سبحانه وطاعة له دون أن يناقشوا العلة من التحريم، لكن العلماء المحدثين توصلوا إلى نتائج مدهشة في هذا المجال[12]: أليس من المدهش أن نعلم أن الخنزير مرتع خصب لأكثر من 450 مرضًا وبائيًّا، وهو يقوم بدور الوسيط لنقل 57 منها إلى الإنسان، عدا عن الأمراض التي يسببها أكل لحمه من عسرة هضم وتصلب للشرايين وسواها.

والخنزير يختص بمفرده بنقل 27 مرضًا وبائيًّا إلى الإنسان وتشاركه بعض

الحيوانات الأخرى في بقية الأمراض لكنه يبقى المخزن والمصدر الرئيس لهذه الأمراض: منها الكلب الكاذب وداء وايل والحمى اليابانية والحمى المتوهجة والحميرة الخنزيرية وغيرها.

هذه الأوبئة يمكن أن تنتقل من الخنزير إلى الإنسان بطرق مختلفة[10]:

الأول: عن طريق مخالطته أثناء تربيته أو التعامل مع منتجاته: (وتعتبر أمراضًا مهنية) وهي لا تقل عن 32 وباء تصيب في الأغلب: عمال الزرائب والمجازر والبيطريون منها أنواع من الفطور العميقة والزحار والديدان والزحار الزقي والحمى اليابانية الدماغية والتهاب الفم البثري الساري.

الثاني: عن طريق تلوث الطعام والشراب بفضلاته: وهي لا تقل عن 28 مرضًا منها الزحار والأسكاريس والانسمام الوشيقي والديدان القنفذية والكبدية والمفلطحة وشوكية الرأس والدودة المسلحة الخنزيرية والشعيرات الحلزونية وغيرها.

الثالث: عن طريق تناول لحمه ومنتجاته: وهي أكثر من 16 مرضًا منها. داء السبيضات، داء الحويصلات الخنزيرية، الحمى المالطية، الدودة الكبدية، وداء وابل، والدودة الشعرية الحلزونية والشريطية، والسل وغيرها.

وهذا يؤكد ما ذهب إليه العالم كرول من أن الحظر المفروض على المسلمين بعدم ملامسة الخنازير ليس بحاجة إلى تبرير[5].

طفيليات الخنزير رأينا كيف أن الخنزير يأوي في بدنه عددًا كبيرًا من الطفيليات وأكثر من 50 نوعًا منها يصيب الإنسان[5] فهي داخلة فيما يسمى بالأمراض الحيوانية البشرية Zoonosis، ويمكن أن نقسمها ضمن المجموعات التالية:

الأمراض الفيروسية والجرثومية:

منها داء الكلب والحمى الصفراء والمالطية والسل، لكن أهمها ما يختص الخنزير بنقله وهي:

1 ـ الالتهاب السحائي المخي، وتسمم الدم الناجم عن الإصابة بالمكورات السبحية الخنزيرية المكتشفة عام 1968 والتي فسرت الحالات الغامضة من الوفيات التي حصلت حينئذ في الدانمارك وهولندا[8]. قد تبين أن هذه الجراثيم شديدة الفتك بالإنسان مسببة التهاب السحايا المغلفة للمخ وبإفراز سموم معينة في دم المصاب، والذين أصيبوا بهذا المرض ونجوا من الموت بعد علاج شاق أصيبوا بالصمم الدائم وفقدان التوازن.

2 ـ جائحات الكريب[12] حيث يؤكد د.هانس هايترش أن فيروس الكريب الذي ينقله الخنزير هو العامل الأكثر سمية، وينقل عن معهد الأبحاث الفيروسية[8] في لندن أن فيروس الكريب يتموضع بكثرة في رئة الخنازير التي تدخل في صنع السجق، وتكمن الفيروسات في الأماكن الحيوية للبدن إلى أن تتاح لها الفرصة في ظروف مواتية من البرد وقلة الشمس لتأتي بشكل جائحة أنتانية، كالتي حدثت في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، حينما تناول الشعب الألماني هدايا الولايات المتحدة من اللحوم ومشتقاتها مصنوعة من لحم الخنزير.

3 ـ إنفلونزا الخنزير[9] ينتشر هذا المرض على هيئة وباء يصيب الملايين من الناس ومن مضاعفاته الخطيرة التهاب المخ، وتضخم القلب والوهط الدوائي، وآخر جائحة أصابت العالم عام 1918 حيث أصيب بها أكثر من 20 مليونًا من البشر.

4 ـ الحمرة الخنزيرية[11] وينتقل من الخنزير إلى اللحامين والدباغين وسواهم وتكون بشكل لوحة محمرة مؤلمة جدًا، وحارقة على الأيدي مع أعراض عامة من ترفع حروري وقشعريرة والتهاب العقد والأوعية اللمفاوية.

الأمراض الناجمة عن الحيوانات الأوالي (5 ـ 11):

يعتبر الخنزير العائل الخازن لنوعين من المثقبات Trypanosoma أولاهما هو طفيلي داء النوم الإفريقي، وثانيهما يحدث داء شاغاس المستوطن في أمريكا

الجنوبية، كما يعتبر الخنزير العائل الأكبر لنوع من الزحار الأميبي، لكن أخطر هذه الطفيليات هي المتحول الأميبي الهدبي المسمى بالزقيات الكولونية Balantidium Coli يتطفل في الأمعاء الغليظة للخنزير والقردة، لكن فرص الاتصال النادرة بين القردة والإنسان تجعل الخنزير المصدر الوحيد لعدوى الإنسان وإصابته بما يسمى بالزحار الزقي.

والزحار الزقي من الأمراض المهنية التي يصاب بها العاملون على تربية الخنازير أو ذبحها أو الاتجار بها حيث تتلوث أيديهم بمفرغات الخنزير، ومنها تنتقل بالطعام إلى أمعائهم فيصابون بحالات من الإسهال الشديد والمتكرر مع مغص ودوار وهزال أحيانًا، ويمتد الأمر لظهور تقرحات في الأمعاء، قد تثقب وقد تؤدي إلى وفاة المصاب.

الأمراض الناجمة عن الحشرات والحلم[5]:

حيث يعتبر الخنزير عائلًا لعدد من الطفيليات الخارجية للإنسان منها أنواع من البعوض والبراغيث والقمل، ومنها ذبابة «تسي تسي» الناقلة لطفيلي داء النوم وأنواع من ذباب الجلد تصيب يرقاتها الفم والعين والأنف والجروح المكشوفة ومنها أنواع من الحلم قريبة من طفيلي الجرب.

الأمراض الناجمة عن الديدان المفلطحة:

1 - **صنف المثقوبات**: التي تصيب الدم حيث يصاب الخنزير بديدان البلهارسيا اليابانية والتي تنزل بويضاتها مع برازه، كما يصاب بنوع من المثقوبات يصيب الرئتين وتنتقل للإنسان في كثير من بلدان العالم، أما عن المثقوبات المعوية والكبدية فللخنزير منها نصيب غير قليل وأهمها:

المتوارقة البسكية Fasciolopsis Buski من الديدان المعوية ـ الكبدية وهي تنتشر في آسيا من الصين إلى البنغال، وتعيش الديدان البالغة في الأمعاء محدثة التهابات موضعية ونزوف وتقرحات في جلد المعي الدقيق مع إسهال مزمن وفقر دم وقد تحدث استسقاء البطن مؤدية إلى الوفاة.

ومنها الدودة الكبدية الصينية Chlonorihis Sineasis وتنتشر في بلدان الشرق الأقصى كاليابان والصين، والخنزير العائل الرئيس بها. تعيش هذه الديدان في القنوات الصفراوية وإذا كثرت أعدادها عند المصاب أحدثت تضخمًا في الكبد وإسهالًا مزمنًا ويرقانًا شديدًا ينتهي بالوفاة.

2 ـ **صنف الديدان الشريطية**[5]: ويصيب الخنزير منها نوعان: الشريطية العوساء العريضة D. Latum ويصاب كالإنسان بالطور البالغ منها. والنوع الأهم هو الشريطية المسلحة Solium Taenia والمسماة الدودة الوحيدة المسلحة وهي تعيش في طورها البالغ في أمعاء الإنسان، طولها من 2 ـ 3 أمتار، لها رأس أصغر من الدبوس مزود بأربع ممصات ويطوق قمته طوق من الأشواك، يلي الرأس عنق قصير ينمو منه باستمرار قطع أو أسلات صغيرة تنمو كلما بعدت عن الرأس مكونة جسم الدودة الذي يشبه الشريط والذي يحتوي أكثر من 1000 قطعة وتمتلئ القطع الناضحة بآلاف البيوض، حتى تصبح في النهاية مجرد كيس مثقل بذلك البيض الوبيل والذي ينمو في كل واحدة منها جنين كروي مسدس الأشواك.

وتنفصل الأسلات النهائية لتخرج مع براز المصاب، وتعيش في التربة الرطبة زمنًا طويلًا حتى يأتي خنزير فيلتهمها مع ما فيها من بيض، وفي أمعاء الخنزير تعمل عصاراته الهاضمة على حل غلاف هذه البيوض لتنطلق منها الأجنة مخترقة جدار الأمعاء إلى الدورة الدموية للحيوان، وبواسطة الدم تستقر في عضلات الخنزير مكونة حويصلات كروية أو بيضاوية بطول 6 ـ 18 ملم، في كل منها يرقانة لها رأس صالح لكي يكون دودة جديدة كاملة، ويحدث هذا إذا ما تناول الإنسان من اللحم المصاب دون أن ينضج تمامًا لقتل ما فيه من تلك اليرقانات.

والخنزير هنا يقوم بدور العائل الوسيط والذي يعتبر المصدر الوحيد لعدوى البشر.

وقد يحدث أن يحل الإنسان محل الخنزير ليصبح العائل الوسيط في دورة تنتهي بطريق مسدود وذلك عندما يصدف أن يبتلع الإنسان طعامًا ملوثًا بتلك

الأسلات (أو بالبيض)، سواء من فضلاته هو أو من مصدر خارجي، فيفقس البيض في أمعائه وتنطلق من ثم، الأجنة مسدسة الأشواك في أمعائه مخترقة جدارها إلى دورته الدموية وتجول مع الدم لتستقر بأي جزء من أعضائه سواء في العضلات أو الرئتين أو الكبد أو القلب أو الدماغ، وهناك مشكلة حويصلات (أو كيسات) ومؤدية إلى إصابة الإنسان بما يسمى داء الحويصلات الخنزيرية Cysticercosis، وكلما كان عددها في الجسم كبيرًا، وكان العضو الذي استقرت فيه عضوًا هامًا كلما كان خطرًا عظيمًا.

ونمو هذه الحويصلات في المخ يؤدي إلى الإصابة بحالات من الصرع، وإلى ظهور شلل عضوي جزئي، مع دوار واضطرابات عصبية حسية. كما ينطلق منها إلى الدم نفايات سامة، وقد يؤدي إلى الموت، علمًا بأنه لم يعرف لهذا المرض حتى اليوم أي علاج ناجح.

صحيح، كما يقول المدافعون عن الخنزير، أن البقر يصاب بدودة مشابهة هي الشريطية العزلاء، وأن الإنسان عند أكله للحم البقر المصاب يصاب بتلك الدودة بالطور البالغ، مع أعراض مشابهة لما تحدثه الشريطية المسلحة (الخنزيرية)، لكن ولو ابتلع بيضها وهذا فرق هام للغاية، إذ أن داء الحويصلات عند الإنسان ينجم فقط عن دودة الخنزير الشريطية، علمًا بأنه مرض خطير للغاية ولا مقابل له في دودة البقر.

الديدان الشوكية الرأس: وهي شائعة في الخنزير، واكتشفت بين مربيه بين فلاحي وادي الفولغا في جنوب روسيا.

الديدان الخيطية أو الأسطوانية: منها ثعبان البطن أو الأسكاريس وقد أثبت Smyth أن الخنزير يساعد على انتشارها، ومنها الديدان شعرية الرأس، لكن أشدها خطرًا على بني البشر هي الدودة الشعرية الحلزونية Trichinella Spiralis.

تعيش الديدان البالغة في أمعاء الإنسان والخنزير وهي ديدان قصيرة طولها من 2 ـ 4 ملم، تتغلغل الإناث المثقلة بالبيوض بين الزغابات المعوية لتضع صغارها

(اليرقانات) هناك، فهي لا تضع بيضًا، إذ يفقس البيض وهو في بطنها، وتخترق اليرقانات جدر الأمعاء إلى الدم وتطوف معه لتستقر في عضلات مضيفها حيث تنمو ليصل طولها إلى 1ملم ثم تلتف على نفسها وتتحوصل، فإذا أكل إنسان لحم الخنزير المصاب انحلت الحويصلات في أمعائه، وخرجت منها الأجنة لتتطور في أمعائه إلى الديدان البالغة، والدودة الشعرية البالغة ليست الخطرة على الإنسان، لكنها تتزاوج في أمعائه وتموت الذكور، ترقد الإناث الملقحة في جدران الأمعاء لتضع يرقاناتها، وبعد أسبوع واحد، تخترق هذه اليرقانات جدر الأمعاء إلى الدم حيث تستقر في أي جزء من بدن الإنسان محدثة ما يسمى بداء الشعريات الخنزيرية Trichinosis وهي تكثر في عضلات الحجاب الحاجز للمصاب وفي حنجرته ولسانه وعينيه.

وتتميز المرحلة الأولى من المرض باضطرابات معدية ـ معوية والإسهال الشديد، والحمى مع الضعف العام.

أما المرحلة الثانية والتي تظهر بعد انتشار اليرقانات في الجسم فكثيرًا ما تكون قاتلة ومن أعراضها انتفاخ الأجفان، وخزب تحت العينين، وآلام عضلية مبرحة، واضطرابات حركة العينين وعضلات التنفس والبلع، كما يصاب بحمى قد تكون مستمرة مع عرق غزير وهذيان. وإذا توضعت في السائل الدماغي الشوكي ظهرت أعراض التهاب الدماغ والسحايا.

وبعد تكلس تلك الحويصلات، تبدأ المرحلة الثالثة بانتشار الارتشاح في الوجه والبطن والأطراف مع ضعف شديد ووهن عام وطفوح جلدية ونزوف وضخامة في الطحال واضطرابات عصبية عقلية. وتحدث معظم الوفيات بين الأسبوعين الرابع والتاسع.

داء التقرحات الوعائية المدارية:

يؤكد د. هانس هـ. ريكفيغ[8] أن الدورة الدموية المحيطية قد تضطرب في ظروف مناخية خاصة نتيجة تناول لحم الخنزير محدثة تقرحات مؤلمة على الساقين،

وأن هذه الآفة انتشرت بين الجنود الألمان أثناء الحملة التي قادها رومل في شمال أفريقيا.

ويروي د. ريكفغ كيف اكتشف زملاؤه علاقة الإصابة بهذه الداء وبين تناول لحم الخنزير عندما وجدوا أن السكان المحليين من المسلمين لا يصابون بها مطلقًا. ورغم كل العلاجات التي قدمت للمرضى فإن حالتهم لم تتحسن إلا بعد أن قدمت لهم حمية تشبه طعام السكان المحليين وحذف لحم الخنزير بشكل نهائي، فكانت النتائج حينئذ باهرة.

ويرى الباحث المذكور أن لحم الخنزير يعتبر العنصر الهام الأكثر سمية للإنسان فهو يضعف مقاومة الجسم ويعرضه للأمراض، والمطعم الصحي الحقيقي هو الذي لا يستعمل أي جزء من لحم الخنزير ولأن الذي يعتاد تناوله هو الذي سيدفع الحساب يومًا ما.

الآثار السلوكية (الخلقية) التالية لأكل لحم الخنزير:

لقد أشار النبي ﷺ إلى أثر الطعام على خلق آكليه فقال: «**والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم**» رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ويقول الفخر الرازي[2]: «قال أهل العلم ـ الغذاء يصير جزءًا من جوهر المغتذي، فلا بد أن يحصل له أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلًا في الغذاء، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتهيات، فحرم أكله لئلا يتكيف بتلك الكيفية».

ويقول ابن خلدون[12]: «أكلت الأعراب لحم الإبل فاكتسبوا الغلظة، وأكل الأتراك لحم الفرس فاكتسبوا الشراسة، وأكل الإفرنج لحم الخنزير فاكتسبوا الدياثة».

وحديثًا اختلف العلماء في أثر الغذاء على الطباع والخلق، لكن ملاحظات كثيرة من العلماء قادتهم إلى معرفة سبب اختلاف الآثار الخلقية باختلاف نوع اللحوم المكثر من تناولها، وبأن لحم الخنزير وشحمه له تأثير سيئ على العفة

والغيرة على العرض إذا داوم الإنسان على تناوله[10]، توصلوا في نهايتها إلى القول بأن نوعية الطعام تؤثر على شخصية وسلوك الإنسان وتصرفاته. وعن مقالة للدكتور الفنجري[11] يؤكد فيها أن الذين يأكلون لحوم الحيوانات الكاسرة عادة ما تكون طباعهم شريرة، غير متسامحين، ويميلون إلى ارتكاب الآثام والجرائم.

وإن أكل لحم الخنزير لا بد وأن يؤثر على شخصية الإنسان وسلوكه العام، والذي يتجلى واضحًا في كثير من المجتمعات الغربية حيث يكثر اللواط والسحاق والزنى، وما نراه متفشيًا من نتاج تلك التصرفات من ارتفاع نسبة الحمل غير الشرعية والإجهاض وغيرها.

شهادات علماء الغرب بفضل الإسلام:

يؤكد د. عبد الحافظ حلمي محمد[5] على فضل الإسلام على حماية أتباعه من أمراض الخنزير الوبيلة. فالارتباط واضح بين انتشار الشريطية المسلحة وما ينجم عنها كداء الحويصلات الخنزيرية وبين العادات الغذائية لبلد ما والدين الذي يدين به قاطنوه.

وهكذا فإن Noble 1961 يؤكد أن دودة الخنزير هذه تحدث عددًا كبيرًا من الإصابات الدماغية سنويًا عند سكان المكسيك الذين اعتادوا تناول لحم الخنزير، في حين يؤكد لاباج (1961) وولكوكس وماتسون في كتابهما عن طب البلاد الحارة: أن هذه الدودة نادرة الوجود في البلاد الإسلامية. أما تشاندر وريد فيذكران في كتابهما عن علم الطفيليات ما نصه: «أما في البلاد اليهودية والإسلامية، حيث يعد أكل لحم الخنزير خطيئة دينية كبيرة، فليس لهذا الطفيلي أدنى فرص للبقاء، وهو دليل فاضح على فساد الأخلاق حين حدوثه...».

وعندما يتكلم نلسون[5] عن انتشار داء الشعريات الحلزونية في دول أوروبا وأمريكا فهو يتعجب قائلًا: «أما العلة في إدماننا ـ نحن أهل العالم الغربي ـ على أكل لحم الخنزير، فإنه لغز محير، خاصة وأننا نذكر على الدوام بمخاطر ذلك ونحن نقرأ الكتاب المقدس (مشيرًا إلى الإصحاح الرابع عشر من سفر التثنية التوراة).

أما اليهود الملتزمون وأتباع محمد فإنهم مضوا في نفورهم من الخنازير وعدم استساغتهم لحمها فخلت جماعاتهم من داء الشعريات الخنزيرية خلوًا تامًا..».

عدوى الخنازير:

لعل أهم مصدر لعدوى الخنازير هي العادة المتبعة من تربية الخنازير على القمامة، وعادة الخنازير الذميمة من التهام الفضلات والنفايات، إذ أن القمامة تضم بقايا خنزيرية مصابة حتى أن أحد الباحثين يسمي الدودة الشعرية الحلزونية بدودة القمامة، وهكذا تجتمع الدودة مع الخنزير في القذارة والرجس. وسبب هام آخر لاحظه بعض الباحثين، وهو أن الخنازير تصاب أيضًا نتيجة أن بعضها يأكل أذيال بعض في المرابي المكتظة بها.

وتقوم الجرذان أو الفئران بدور هام، فهي تصاب بالمرض إذا أكلت ما ينبذ من بقايا من لحوم الخنازير المصابة، وتعدي الجرذان بعضها بعضًا لأنها تأكل لحوم بعضها البعض، حية وميتة، ثم تنتقل العدوى إلى الخنازير إذا أكلت جيف تلك الجرذان في أكوام القمامة، وهكذا تحدث دورات عدوى مختلفة من جرذ إلى جرذ، ومن خنزير إلى جرذ ومن جرذ إلى خنزير ومن خنزير إلى إنسان.

هل يمكن توقي الأمراض التي تنقلها الخنازير؟

يتساءل البعض لم لا تربى الخنازير تربية صحية نظيفة؟، ولم لا تتخذ الوسائل لاكتشاف اللحوم المصابة وإتلافها؟، وإذا كان ذلك ممكنًا في مكان وظروف معينين فهل يمكن تحقيقه في كل الظروف؟، أوليس الأولى عدم المخاطرة وتجنب المهالك؟، بل الحقيقة أن هذه الوسائل كلها لم تكن مجدية في واقع الحال في أي زمان ومكان.

ويأتينا الدليل من الولايات المتحدة[5] حيث مستوى المعيشة فيها على ما نعلم فبينما نرى أن أفقر قطر إسلامي قد نجا من هذا البلاء، فإنه يوجد في الولايات المتحدة ثلاثة أمثال ما في العالم أجمع من الإصابات بالطفيليات

الخنزيرية، علمًا بأن الإحصاءات غير دقيقة لأن الآفات لا تشخص سريريًا إلا إذا كانت شديدة ومعظم الحالات لا تشخص إلا بعد الوفاة. وتجري في الغرب إجراءات شاقة ومحاولات باهظة لوقاية الخنازير وآكليها من الديدان الشعرية الحلزونية وغيرها.

ففي الولايات المتحدة التي يربى فيها أكثر من مليون ونصف من الخنازير، جزئيًا أو كليًا على القمامة، صدرت قوانين تقضي بتعريض القمامة للبخار الساخن مدة نصف ساعة قبل تقديمها للخنازير. ولكن ما هي نتيجة هذه الجهود الكبيرة؟.

لقد قدرت الإحصاءات أن نحوًا من 5% من خنازير بوسطن و18.5% من ذبائح متشيغان مصابة بهذه الآفة (ويلككس وماتسون بار).

أما اللحوم فإن معالجتها بالكوبالت والسيزيوم المشعين يؤدي إلى إصابة الديدان الناشئة بالعقم مما يمنع تكاثرها. لكن هذا الإجراء دقيق وليس من الميسور تطبيقه. ثم إن التجميد السريع بالتبريد ثم التخزين الطويل في درجات حرارة شديدة الانخفاض تقضي على الطفيليات الدقيقة فيه.

وتقضي التعليمات الصحية في الولايات المتحدة بخزن لحوم الخنازير التي تؤكل نيئة 20 يومًا كاملًا في درجة حرارة 15 تحت الصفر. كما أن غلي اللحوم تقتل الطفيليات لذا يوصى بغليها فترة تتناسب وحجمها: ومع كل هذه الجهود الشاقة والنفقات الباهظة فما تزال الإحصاءات تشير إلى تلك النسب المرتفعة من الإصابة.

أو ليس الأيسر بداهة هو تجنب تلك اللحوم أصلًا؟، ثم أينسى هؤلاء أن عملهم قد احتاج قرونًا طويلة ليكتشف عددًا من الآفات التي يسببها أكل لحم الخنزير؟ فمن الذي يجزم بأن هناك آفات أخرى لم يكشف العلم النقاب عنها بعد؟، أفلا تستحق الشريعة الإسلامية التي سبقت العلم البشري بعشرات القرون أن نثق بها وندع كلمة الفصل لها، نحرم ما حرمت ونحلل ما حللت، وهي آتية من لدن حكيم خبير؟.

مراجع البحث:

الدكتور الطبيب محمد نزار الدقر.

الدكتور زغلول النجار: الحيوان في القرآن الكريم.

(1) الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» دار الحديث ـ القاهرة 1994.

(2) الإمام الفخر الرازي في تفسيره «زاد المسير في علم التفسير».

(3) الإمام أبو الفرج الجوزي «زاد المسير في علم التفسير».

(4) الإمام ابن كثير الدمشقي عن كتابه «تفسير القرآن العظيم».

(5) الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد عن مقالة «العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن» مجلة عالم الفكر ـ المجلد 12 ع ـ 4 الكويت يناير 1982.

(6) الإمام السيوطي عن كتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور».

(7) الدكتور فاروق مساهل عن كتابه «تحريم الخنزير في الإسلام» لندن.

(8) الدكتور هانس هايترش ريكفيغ: «الدين والعلم وتحريم لحم الخنزير». ت. عدنان حلبي.

(9) الإمام الدميري في كتابه «حياة الحيوان الكبرى».

(10) الدكتور أحمد جواد عن كتابه «الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم» دار السلام 1987.

(11) الدكاترة أحمد بربور وزملاؤه: «الطب الوقائي في الإسلام» ـ دمشق 1992.

(12) الدكتور أحمد حسن ضميري: «نظرات طبية في محرمات إسلامية» ـ ج 1 ـ دمشق 1995.

(13) ابن خلدون، المقدمة.

obeikandi.com

المبحث الثاني:

الله خلق كل دابة من ماء

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: 45].

هذه الآية الكريمة جاءت في بدايات الثلث الأخير من سورة النور، وهي سورة مدنية، وآياتها أربع وستون بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى أن الله تعالى هو نور السمٰوات والأرض، وأنه ﷻ هو الذي يهدي لنوره من يشاء من عباده، وأن كل مخلوق في هذا الوجود لا يهتدي بنور الله فإنه لن يهتدي أبدًا.

ويدور المحور الرئيس لسورة النور حول عدد من التشريعات الإلٰهية الضابطة لسلوك المسلم في كل من حياته الخاصة والعامة، والحاكمة لعلاقاته في داخل أسرته ومع غيره من الخلق صونًا لحرمات الناس وكراماتهم، والله يقول الحق، وهو يهدي إلى سواء السبيل. وتبدأ سورة النور بالتأكيد على أنها من جوامع سور القرآن الكريم لأن الله تعالى فرض فيها على عباده فرائض ألزمهم بها، وفي مقدمة ذلك تحريم الزنا، وتشريع الحدود الرادعة للواقعين فيه، ووصفه بأنه من أكبر الجرائم في حقوق الناس، ولذلك بشّعها إلى كل صاحب ضمير حي وذلك بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 3].

وكما حرمت سورة النور الزنا بكل مقدماته، فإن هذه السورة الكريمة تنهي عن الخوض في أعراض الناس، مؤكدة أن الخائضين في هذا الأمر بغير دليل قاطع هم من الفاسقين الذين يستحقون العقوبات الرادعة، وتعتبرهم من الخارجين على

ديـن الله. قـال الله تـعـالـى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: 5].

وتشرع سورة النور للملاعنة كوسيلة من وسائل درء الشبهات بين الأزواج، وتشير إلى حادثة الإفك، وتبرئ المظلومين من دنسه، وتغلظ العقوبة للذين افتروه، وتحذر من العودة إلى افتراء مثله أبدًا، كما تحذر من اتباع خطوات الشيطان لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر، وتحض على الإنفاق لذي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وتكرر النهي عن رمي المحصنات الغافلات المؤمنات، وتغلظ العقوبة على ذلك.

وتنهى سورة النور عن دخول البيوت دون استئذان وسلام على أهلها، وتضع الضوابط الشرعية لذلك، كما تأمر بغض البصر، وحفظ الفرج، وستر العورات، وبالاحتشام في الملبس والمظهر، كما تنهى عن التبرج بزينة، وتضع ضوابط حجاب المرأة المسلمة، وضوابط الزواج الإسلامي، وتحرم البغاء بكل صوره وأشكاله، وتعتبره من أبشع الجرائم المهدرة لكرامة الإنسان.

وتؤكد السورة الكريمة أن الله تعالى هو نور السمٰوات والأرض، وأنه يهدي لنوره من يشاء، وتدعو إلى عتق رقاب الأرقاء، وإلى بناء المساجد والقيام على عمارتها وتطهيرها طمعًا في مرضاة الله ﷻ، وتجنبًا لأهوال يوم القيامة.

وتبشر سورة النور أهل المساجد بأن الله تعالى سوف يجزيهم أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله، وفي المقابل تحذر الكفار بأن أعمالهم الجيدة سوف يجزون عليها في الدنيا، ولا رصيد لهم عند الله ﷻ في الآخرة، وتشبه أعمالهم السيئة بأحلك الظلمات المتراكبة فوق قيعان البحار العميقة، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40].

وتؤكد السورة الكريمة أن جميع من في السمٰوات والأرض يسبح لله الذي له ملك كل شيء وإليه المصير، وتحذر من النفاق والمنافقين، وتفصح عن شيء من دخائل نفوسهم، وتقارن بين مواقفهم الكافرة، ومواقف المؤمنين الصادقين، وتأمر

بطاعة الله ورسوله، جازمة أن ما على الرسول إلا البلاغ المبين، مؤكدة أن وعد الله تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات قائم إلى قيام الساعة.

وتعاود سورة النور الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة رسول الله ﷺ، كما تعاود الأمر بمزيد من ضوابط السلوك في البيت المسلم خاصة في حضرة رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ومن بعده في حضرة كل مسؤول عن العمل الإسلامي، وتحذر من مخالفة ذلك درءًا للفتن في الدنيا وللعذاب في الآخرة.

وتختتم السورة الكريمة بالتأكيد مرة أخرى أن لله ما في السمٰوات والأرض، وأنه تعالى عليم بخلقه الذين سوف يرجعون جميعًا إليه فينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه.

هذا وقد استعرضت سورة النور العديد من الآيات الكونية للتدليل على صدق كل قضية غيبية جاءت فيها، وقد تم استعراض ذلك في مقالات سابقة ولا حاجة لإعادتها مرة أخرى هنا.

من أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: 45].

* ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ما مختصره: يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات، على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد، ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحية وما شاكلها، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات، ولهذا قال: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ أي بقدرته، لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* وجاء في الظلال ـ رحم الله كاتبها برحمته الواسعة ـ ما مختصره: وهذه الحقيقة الضخمة التي يعرضها القرآن بهذه البساطة، حقيقة أن كل دابة خلقت من ماء،

قد تعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعًا، وهو الماء، فهي ذات أصل واحد. ثم هي ـ كما ترى العين ـ متنوعة الأشكال، منها الزواحف تمشي على بطنها، ومنها الإنسان والطير يمشي على قدمين، ومنها الحيوان يدب على أربع. كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته، لا عن مصادفة: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ غير مقيد بشكل ولا هيئة. فالنواميس والسنن التي تعمل في الكون قد اقتضتها مشيئته الطليقة وارتضتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وجاء في تعليق الخبراء بالهامش ما نصه: (الماء في الآية الكريمة هو ماء التناسل، والآية الكريمة لم تسبق ركب العلم فقط في بيان نشوء الإنسان من النطفة، بل سبقته كذلك في بيان أن كل دابة تدب على الأرض خلقت كذلك بطريق التناسل، ومما تحتمله الآية من معان علمية أن الماء قوام تكوين كل كائن حي، فمثلًا يحتوي جسم الإنسان على نحو70% من وزنه ماء، ولم يكن تكوين الجسم واحتواؤه هذه الكمية الكبيرة من الماء معروفًا مطلقًا قبل نزول القرآن. والماء أكثر ضرورة للإنسان من الغذاء، فبينما الإنسان يمكنه أن يعيش (60 يومًا) بدون غذاء، فإنه لايمكنه أن يعيش بدون الماء إلا لفترة قصيرة تتراوح بين3 و10 أيام على أقصى تقدير. والماء أساس تكوين الدم والسائل اللمفاوي والسائل النخاعي، وإفرازات الجسم كالبول والعرق والدموع واللعاب والصفراء واللبن والمخاط والسوائل الموجودة في المفاصل، وهو سبب رخاوة الجسم وليونته، ولو فقد الجسم 20% من مائه فإن الإنسان يكون معرضًا للموت. والماء يذيب المواد الغذائية بعد هضمها فيمكن امتصاصها، وهو كذلك يذيب الفضلات من عضوية ومعدنية في البول والعرق. وهكذا يكون الماء الجزء الأكبر والأهم من الجسم، وبذلك يمكن القول بأن كل كائن حي مخلوق من الماء).

* وجاء في بقية التفاسير كلام مشابه لما ذكره السابقون من المفسرين ولا حاجة إلى تكراره هنا.

ما يلي:

1 - إن خلق الماء سابق لخلق جميع الأحياء، وهو ما أثبتته الدراسات الأرضية.

2 - إن الله تعالى خلق كل صور الحياة الباكرة في الماء، والدراسات لبقايا الحياة في صخور قشرة الأرض تشير إلى أن الحياة ظلت مقصورة على الماء لمدة تصل إلى نحو 3400 مليون سنة من 3800 مليون سنة مضت إلى نحو 400 مليون سنة مضت حين خلقت أول نباتات أرضية على (اليابسة)، وأن خلق النبات كان سابقًا لخلق الحيوان في الوسطين المائي واليابس، لأن الحياة الحيوانية على اليابسة لم تعرف قبل 365 مليون سنة مضت (في نهاية العصر الديفوني).

3 - إن كل صور الحياة (الإنسية، والحيوانية، والنباتية) لا يمكن لها أن تقوم في غيبة الماء لأنه أعظم مذيب على الأرض، وبذلك يشكل الوسيط الناقل لعناصر ومركبات الأرض إلى مختلف أجزاء النبات، ومنها إلى أجساد كل من الإنسان والحيوان، وذلك بما للماء من صفات طبيعية وكيميائية خاصة من مثل اللزوجة العالية، والتوتر السطحي الشديد، والخاصية الشعرية الفائقة.

4 - إن الماء يشكل العنصر الأساسي في بناء أجساد جميع الأحياء، فيكون ما بين 71% من جسم الإنسان البالغ، و93% من جسم الجنين ذي الأشهر المعدودة، ويكون أكثر من 80% من تركيب دم الإنسان، وأكثر من 90% من تركيب أجساد العديد من النباتات والحيوانات.

5 - إن جميع الأنشطة الحياتية وتفاعلاتها المتعددة لا تتم في غيبة الماء، من التغذية، إلى الهضم، والتمثيل الغذائي، والإخراج والتخلص من سموم الجسم وفضلات الغذاء، ومن التنفس إلى التعرق والنتح، إلى التمثيل الضوئي في النباتات الخضراء، ومن النمو إلى التكاثر، وإلى غير ذلك من

الأنشطة الحياتية، ومن أهمها حفظ درجتي حرارة الجسم ورطوبته.

6 ـ إن وحدة مادة خلق الأحياء ـ وهي هنا الماء ـ تؤكد وحدانية الخالق ﷻ، الذي أشرك به كثير من الجهال الضالين في القديم والحديث.

7 ـ إن في البناء المعقد لأجساد الكائنات الحية من الماء شهادة من الله تعالى بطلاقة القدرة المبدعة في الخلق، وشهادة بقدرته ﷻ على إفناء خلقه وعلى إعادة بعثه.

هذه الحقائق وحدها كافية للشهادة للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده حتى يبقى شاهدًا على جميع الخلق إلى قيام الساعة.

وهذه الحقائق كافية للشهادة بالنبوة وبالرسالة لسيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم أجمعين سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، وعلى كل من تبع هداه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين) ومؤكدة أنه ﷺ كان موصولًا بالوحي الرباني، فلا يمكن للكلام الموحى إليه إلا أن يكون حقًا كاملًا، لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه، فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة القرآن، والحمد لله على باقي أفضاله ونعمه التي لا يجحدها إلا جاحد أو كافر أو مشرك، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من أوصافهم أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصدر:

بحث للدكتور زغلول النجار نشر في جريدة الأهرام العدد (42812)، التاريخ 3 محرم 1425هـ، 23 فبراير 2004.

المبحث الثالث:

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 17 ـ 22].

في هذه الآيات الكريمة يخص الله ﷻ الإبل من بين مخلوقاته الحية، ويجعل النظر إلى كيفية خلقها أسبق من التأمل في كيفية رفع السمٰوات ونصب الجبال وتسطيح الأرض، ويدعو إلى أن يكون النظر والتأمل في هذه المخلوقات مدخلًا إلى الإيمان الخالص بقدرة الخالق وبديع صنعه. في هذه الآية الكريمة يحضّنا الخالق على التفكير والتأمل في خلق الإبل (أو الجمال)، باعتباره خلقًا دالًا على عظمة الخالق ﷻ وكمال قدرته وحسن تدبيره. وسوف نرى أن ما كشفه العلم حديثًا عن بعض الحقائق المذهلة في خلق الإبل يدل على سبق القرآن الكريم في الإشارة إلى هذا المخلوق المعجز الذي يدل على عظمة خالقه ﷻ كما يدل أن القرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي نزل من عند الله تعالى، على قلب نبيه محمد ﷺ.

الإعجاز العلمي:

إن أول ما يلفت الأنظار في الإبل الشكل الخارجي الذي لا يخلو تكوينه من الآيات البيّنات التي تأخذ بالألباب:

أذنا الإبل:

فالأذنان صغيرتان قليلتا البروز، فضلًا عن أن الشعر يغطيهما من كل جانب ليقيهما من الرمال التي تحملها الرياح، وكما أن لهما القدرة على الانثناء خلفًا والالتصاق بالرأس إذا ما هبت العواصف الرملية.

منخرا الإبل:

كذلك المنخران يتخذان شكل شقين ضيقين محاطين بالشعر وحافتهما لحمية مما يسمح للجمل أن يغلقهما من أمام ما تحمله الرياح إلى رئتيه من دقائق الرمال.

عينا الإبل:

إن لعيني الجمل رموش ذات طبقتين مثل الفخ بحيث تدخل الواحدة بالأخرى وبهذا فإنها تستطيع أن تحمي عينها وتمنع دخول الرمال إليه.

ذيل الإبل:

وذيل الجمل يحمل كذلك على جانبيه شعرًا يحمي الأجزاء الخلفية من حبات الرمل التي تثيرها الرياح والتي كأنها وابل من طلقات الرصاص.

قوائم الإبل:

أما قوائم الجمل فهي طويلة لترفع جسمه عن كثير مما يثور تحته من غبار، كما أنها تساعده على اتساع الخطو وخفة الحركة، وتتحصن أقدام الجمل بخف يغلفه جلد قوي غليظ يضم وسادة عريضة لينة تتسع عندما يدوس الجمل بها فوق الأرض، ومن ثم يستطيع السير فوق أكثر الرمل نعومة، وهو ما يصعب على أية دابة سواه ويجعله جديرًا بلقب «سفينة الصحراء».

فما زالت الإبل في كثير من المناطق القاحلة الوسيلة المثلى لارتياد الصحارى وقد تقطع قافلة الإبل بما عليها من زاد ومتاع نحوًا من خمسين أو ستين كيلومترًا في اليوم الواحد، ولم تستطع السيارات بعد من منافسة الجمل في ارتياد المناطق الصحراوية الوعرة غير المعبدة.

عنق الإبل:

لقد خلق الله ﷻ الإبل ذوات أعناق مرتفعة حتى تتمكن من تناول طعامها من نبات الأرض، كما أنها تستطيع قضم أوراق الأشجار المرتفعة حين مصادفتها، هذا

فضلًا عن أن هذا العنق الطويل يزيد الرأس ارتفاعًا عن الأقذاء ويساعد الجمل على النهوض بالأثقال».

وحين يبرك الجمل للراحة أو يناخ ليعد للرحيل يعتمد جسمه الثقيل على وسائد من جلد قوي سميك على مفاصل أرجله، ولو جثم فوق حيوان أو إنسان طحنه طحنًا.

وهذه الوسائد إحدى معجزات الخالق التي أنعم بها على هذا الحيوان العجيب، حيث إنها تهيئه لأن يبرك فوق الرمل الخشنة الشديدة الحرارة التي كثيرًا ما لا يجد الجمل سواها مفترشًا له، فلا يبالي بها ولا يصيبه منها أذى. والجمل الوليد يخرج من بطن أمه مزود بهذه الوسائد المتغلظة، فهي شيء ثابت موروث وليست من قبيل ما يظهر بأقدام الناس من الحفاء أو لبس الأحذية الضيقة.

معدة الإبل:

وأما معدة الإبل فهي ذات أربعة أوجه، وجهازه الهضمي قوي بحيث يستطيع أن يهضم أي شيء بجانب الغذاء كالمطاط مثلًا.

تنظيم جسم الإبل للحرارة:

يمتاز الجمل بأنه لا يفرز إلا مقدارًا ضئيلًا من العرق عند الضرورة القصوى بفضل قدرة جسمه على التكيف مع المعيشة في ظروف الصحراء التي تتغير فيها درجة الحرارة بين الليل والنهار. إن جسم الجمل مغطى بشعر كثيف وهذا الشعر يقوم بعزل الحرارة ويمنعها من الوصول إلى الجلد تحتها، ويستطيع جهاز ضبط الحرارة في جسم الجمل أن يجعل مدى تفاوت الحرارة نحو سبع درجات كاملة دون ضرر، أي بين 34° م و41° م، ولا يضطر الجمل إلى العرق إلا إذا تجاوزت حرارة جسمه 41° م ويكون هذا في فترة قصيرة من النهار، أما في المساء فإن الجمل يتخلص من الحرارة التي اختزنها عن طريق الإشعاع إلى هواء الليل البارد دون أن يفقد قطرة ماء، وهذه الآلية وحدها توفر للجمل خمسة لترات كاملة من

الماء، ولا يفوتنا أن نقارن بين هذه الخاصة التي يمتاز بها الجمل وبين نظيرتها عند جسم الإنسان الذي ثبتت درجة حرارة جسمه العادية عند حوالي 37° م، وإذا انخفضت أو ارتفعت يكون هذا نذير مرض ينبغي أن يتدارك بالعلاج السريع، وربما توفي الإنسان إذا وصلت حرارة جسمه إلى القيمتين اللتين تتراوح بينهما درجة حرارة جسم الجمل (34° م و41° م).

إنتاج الإبل للماء:

يقوم الجمل بإنتاج الماء والذي يساعده على تحمل الجوع والعطش وذلك من الشحوم الموجودة في سنامه بطريقة كيماوية يعجز الإنسان عن مضاهاتها.

فمن المعروف أن الشحم والمواد الكربوهيدراتية لا ينتج عن احتراقها في الجسم سوى الماء وغاز ثاني أكسيد الكربون الذي يتخلص منه الجسم في عملية التنفس، بالإضافة إلى تولد كمية كبيرة من الطاقة اللازمة لمواصلة النشاط الحيوي. والماء الناتج عن عملية احتراق الشحوم من قبيل الماء الذي يتكون على هيئة بخار حين تحترق شمعة على سبيل المثال، ويستطيع المرء أن يتأكد من وجوده إذا قرب لوحًا زجاجيًّا باردًا فوق لهب الشمعة لاحظ أن الماء الناتج من الاحتراق قد تكاثف على اللوح. وهذا مصدره البخار الخارج مع هواء الزفير، ومعظم الدهن الذي يختزنه الجمل في سنامه يلجأ إليه الجمل حين يشح الغذاء أو ينعدم، فيحرقه شيئًا فشيئًا ويذوى معه السنام يومًا بعد يوم حتى يميل على جنبه، ثم يصبح كيسًا متهدلًا خاويًا من الجلد إذا طال الجوع والعطش بالجمل المسافر المنهك.

ومن حكمة خلق الله في الإبل أن جعل احتياطي الدهون في الإبل كبيرًا للغاية يفوق أي حيوان آخر، ويكفي دليل على ذلك أن نقارن بين الجمل والخروف المشهور بإليته الضخمة المملوءة بالشحم. فعلى حين نجد الخروف يختزن زهاء 11 كجم من الدهن في إليته، نجد أن الجمل يختزن ما يفوق ذلك المقدار بأكثر من عشرة أضعاف (أي نحو 120 كجم)، وهي كمية كبيرة بلا شك يستفيد منها الجمل بتمثيلها وتحويلها إلى ماء وطاقة وثاني أكسيد الكربون. ولهذا يستطيع الجمل أن

يقضي حوالي شهر ونصف بدون ماء يشربه. ولكن آثار العطش الشديد تصيبه بالهزال وتفقده الكثير من وزنه، وبالرغم من هذا فإنه يمضي في حياته صلدًا لا تخور قواه إلى أن يجد الماء العذب أو المالح فيعب منه عبًا حتى يطفئ ظمأه، كما أن الدم يحتوي على أنزيم البومين بنسبة أكبر مما توجد عند بقية الكائنات، وهذا الإنزيم يزيد في مقاومة الجمل للعطش، وتعزى قدرة الجمل الخارقة على تجرع محاليل الأملاح المركزة إلى استعداد خاص في كليته لإخراج تلك الأملاح في بول شديد التركيز بعد أن تستعيد معظم ما فيه من ماء لترده إلى الدم.

وهنالك أسرار أخرى عديدة لم يتوصل العلم بعد إلى معرفة حكمتها ولكنها تبين صورًا أخرى للإعجاز في خلق الإبل كما دل عليه البيان القرآني.

حليب الإبل:

أما لبن الإبل فهو أعجوبة من الأعاجيب التي خصها الله سبحانه للإبل حيث تحلب الناقة لمدة عام كامل في المتوسط بمعدل مرتين يوميًا، ويبلغ متوسط الإنتاج اليومي لها من 5 ـ 10 كجم من اللبن، بينما يبلغ متوسط الإنتاج السنوي لها حوالي 230 ـ 260 كجم.

ويختلف تركيب لبن الناقة بحسب سلالة الإبل التي تنتمي إليها كما يختلف من ناقة لأخرى، وكذلك تبعًا لنوعية الأعلاف التي تتناولها الناقة والنباتات الرعوية التي تقتاتها والمياه التي تشربها وكمياتها، ووفقًا لفصول السنة التي تربى بها ودرجة حرارة الجو أو البيئة التي تعيش فيها والعمر الذي وصلت إليه هذه الناقة وفترة الإدرار وعدد المواليد والقدرات الوراثية التي يمتلكها الحيوان ذاته، وطرائق التحليل المستخدمة في ذلك.

وعلى الرغم من أن معرفة العناصر التي يتكون منها لبن الناقة على جانب كبير من الأهمية، سواء لصغر الناقة أو للإنسان الذي يتناول هذا اللبن، فإنها من جانب آخرتشير وتدل دلالة واضحة على أهمية مثل هذا اللبن في تغذية الإنسان وصغار الإبل وبشكل عام يكون لبن الناقة أبيض مائلًا للحمرة، وهو عادة حلو المذاق

لاذع، إلا أنه يكون في بعض الأحيان مالحًا، كما يكون مذاقه في بعض الأوقات مثل مذاق المياه، وترجع التغيرات في مذاق اللبن إلى نوع الأعلاف والنبات التي تأكلها الناقة والمياه التي تشربها. كذلك ترتفع قيمة الأس الهيدروجيني PH (وهو مقياس الحموضة) في لبن الناقة الطازج، وعندما يترك لبعض الوقت تزداد درجة الحموضة فيه بسرعة.

ويصل محتوى الماء في لبن الناقة بين 84% و90% ولهذا أهمية كبيرة في الحفاظ على حياة صغار الإبل والسكان الذين يقطنون المناطق القاحلة (مناطق الجفاف). وقد تبين أن الناقة الحلوب تفقد أثناء فترة الإدرار ماءها في اللبن الذي يحلب في أوقات الجفاف، وهذا الأمر يمكن أن يكون تكيفًا طبيعيًا، وذلك لكي توفر هذه النوق وتمد صغارها والناس الذين يشربون من حليبها ـ في الأوقات التي لا تجد فيها المياه ـ ليس فقط بالمواد الغذائية، ولكن أيضًا بالسوائل الضرورية لمعيشتهم وبقائها على قيد الحياة، وهذا لطف وتدبير من الله ﷻ.

وكذلك فإنه مع زيادة محتوى الماء في اللبن الذي تنتجه الناقة العطشى ينخفض محتوى الدهون من 4، 3% إلى 1، 1%، وعمومًا يتراوح متوسط النسبة المئوية للدهون في لبن الناقة بين 2، 6 إلى 5، 5%، ويرتبط دهن اللبن بالبروتين الموجود فيه.

وبمقارنة دهون لبن الناقة مع دهون ألبان الأبقار والجاموس والغنم لوحظ أنها تحتوي على حموض دهنية قليلة، كما أنها تحتوي على حموض دهنية قصيرة التسلسل ويرى الباحثون أن قيمة لبن الناقة تكمن في التراكيز العالية للحموض الطيارة التي تعتبر من أهم العوامل المغذية للإنسان، وخصوصًا الأشخاص المصابين بأمراض القلب.

ومن عجائب لبن الإبل أن محتوى اللاكتوز في لبن الناقة يظل دون تغيير منذ الشهر الأول لفترة الإدرار وحتى في كل من الناقة العطشى والناقة المرتوية من الماء. وهذا لطف من العلي القدير فيه رحمة وحفظ للإنسان والحيوان، إذ إن

اللاكتوز (سكر اللبن) سكر هام يستخدم كمليّن وكمدّر للبول، وهو من السكاكر الضرورية التي تدخل في تركيب أغذية الرضع.

وفضلًا عن القيمة الغذائية العالية لألبان الإبل، فإن لها استخدامات وفوائد طبية عديدة تجعله جديرًا بأن يكون الغذاء الوحيد الذي يعيش عليه الرعاة في بعض المناطق، وهذا من فضل الله العظيم وفيضه العميم.

أهمية الإبل في الأمن الغذائي:

ففي عامي 1984 و1985، حين أصيبت أفريقيا بالجفاف هلكت ـ أو كادت تهلك ـ في كينيا القبائل التي كانت تعيش على الأبقار التي كفت عن إفراز اللبن ثم مات معظمها، بينما نجت القبائل التي كانت تعيش على الإبل، لأن النوق استمرت في الجود بألبانها في موسم الجفاف. ومن هنا أصبح للاهتمام بالإبل أيضًا دوافع اقتصادية ومستقبلية مهمة، ودعا أهل الاختصاص إلى التعمق في دراسة هذا الحيوان في عالم تستنفد سريعًا موارده من الغذاء والطاقة. ولقد سبق أن أوضحنا أن النظرة المتأملة في الإبل أقنعت الناس منذ عهد نزول الوحي بصورة ظاهرة فيها من إعجاز الخلق ما يدل على قدرة الخالق، كما أن العلماء والباحثين المتعمقين لا يزالون حتى اليوم يجدون آيات خفية جديدة في ذلك الحيوان العجيب تعمق الإيمان بقدرة الخالق، وتحقق التوافق والانسجام بين حقائق العلم الموضوعية التي يكشف عنها العلماء وبين ما أخبر به الله في قرآنه الكريم.

مقارنة بين قدرات الإبل والإنسان:

ولعل في المقارنة بين بعض قدرات الإبل والإنسان ما يزيد الأمر إيضاحًا بالنسبة لنموذج الإبل الفريد في الإعجاز. فقد أكدت تجارب العلماء أن الإبل التي تتناول غذاءً جافًا يابسًا يمكنها أن تتحمل قسوة الظمأ في هجير الصيف لمدة أسبوعين أو أكثر، ولكن آثار هذا العطش الشديد سوف تصيبها بالهزال لدرجة أنها قد تفقد ربع وزنها تقريبًا في خلال هذه الفترة الزمنية. ولكي ندرك مدى هذه المقدرة الخارقة نقارنها بمقدرة الإنسان الذي لا يمكنه أن يحيا في مثل تلك الظروف أكثر

من يوم واحد أو يومين. فالإنسان إذا فقد نحو 5% من وزنه ماء فقد صواب حكمه على الأمور، وإذا زادت هذه النسبة إلى 10% صُمَّت أذناه وخلط وهذى وفقد إحساسه بالألم (وهذا من رحمة الله به ولطفه في قضائه). أما إذا تجاوز الفقد 12% من وزنه ماء فإنه يفقد قدرته على البلع وتستحيل عليه النجاة حتى إذا وجد الماء إلا بمساعدة منقذيه. وعند إنقاذ إنسان أشرف على الهلاك من الظمأ ينبغي على منقذيه أن يسقوه الماء ببطء شديد تجنبًا لآثار التغير المفاجئ في نسبة الماء بالدم. أما الجمل الظمآن إذا ما وجد الماء يستطيع أن يعب منه عبًّا دون مساعدة أحد ليستعيد في دقائق معدودات ما فقد من وزنه في أيام الظمأ.

وثمة ميزة أخرى للإبل على الإنسان، فإن الجمل الظمآن يستطيع أن يطفئ ظمأه من أي نوع وجد من الماء، حتى وإن كان ماء البحر أو ماء في مستنقع شديد الملوحة أو المرارة، وذلك بفضل استعداد خاص في كليتيه لإخراج تلك الأملاح في بول شديد التركيز بعد أن تستعيد معظم ما فيه من ماء لترده على الدم. أما الإنسان الظمآن فإن أية محاولة لإنقاذه بشرب الماء المالح تكون أقرب إلى تعجيل نهايته. وأعجب من هذا كله أن الجمل إذا وضع في ظروف بالغة القسوة من هجير الصحراء اللافح فإنه سوف يستهلك ماء كثيرًا في صورة عرق وبول وبخار ماء، مع هواء الزفير حتى يفقد نحو ربع وزنه دون ضجر أو شكوى. والعجيب في هذا أن معظم هذا الماء الذي فقده استمده من أنسجة جسمه ولم يستنفد من ماء دمه إلا الجزء الأقل، وبذلك يستمر الدم سائلًا جاريًا موزعًا للحرارة ومبددًا لها من سطح جسمه، ومن ثم ترتفع درجة حرارته ارتفاعًا فجائيًّا لا تتحملها أجهزته ـ وخاصة دماغه ـ وفي هذا يكون حتفه.

وهكذا نجد أن الآية الكريمة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ تمثل نموذجًا لما يمكن أن يؤدي إليه العلم بكافة مستوياته الفطرية والعلمية، وليس في نصّها شيء من حقائق العلوم ونظرياتها وإنما فيها ما هو أعظم من هذا، فيها مفتاح الوصول إلى تلك الحقائق بذلك التوجيه الجميل من الله العليم الخبير بأسرار خلقه.

هذه بعض أوجه الإعجاز في خلق الإبل من ناحية الشكل والبنيان الخارجي،

وهي خصائص يمكن إدراكها بفطرة المتأمل الذي يقنع البدوي منذ الوهلة الأولى بإعجاز الخلق الذي يدل على قدرة الخالق.

المراجع:

كتاب رحيق العلم والإيمان الدكتور أحمد فؤاد باشا.

فراس نور الحق محرر موسوعة الإعجاز العلمي.

مقالة للكاتب التركي هارون يحيى.

الحيوان في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار.

obeikandl.com